الجواري في التاريخ ودورها في الحياة الأدبية والثقافية

أ.م.د.جهاد كاظم العكيلي
مركز دراسات المرأة – جامعة بغداد
Jk_Daher@yahoo.com

م. أفراح ذياب صالح
مركز دراسات المرأة – جامعة بغداد
afrah_saleh69@yahoo.com

الملخص

الجارية هي كل امرأة مملوكة، امتلكها سيدها من شرائها من النخاسين الذين كانوا يجوبون البلاد لشراء الجواري ومن ثم بيعهن ، أو هي سبية الحرب، وإذا ما ذكر الجواري ذكر معهن إبداعهن في فنون الغناء والأدب وأنواع الفنون الأخرى كالنحو والصرف ،هذه الثنائية بين الإبداع والعبودية كانت السمة التي ميزت الجواري ،فكان إبداع الجارية معادلا للحرية التي افتقدتها ، وقد اشتهر العصر العباسي دون غيره من العصور بانتشار الجواري والقيان في قصور الخلفاء ودور النخاسين نتيجة العوامل الاجتماعية من ترف وبذخ ،فظهرت نماذج عديدة من الجواري اللاتي أسهمن في نقل ثقافات بلادهن وإدخالها الى المجتمع الإسلامي ،منهن الجارية الشاعرة عريب والشاعرة دنانير ،هذه الأنموذجات وغيرها كانت خير مثال للحركة الأدبية في العصر العباسي التي أسهمت فيها الجواري إسهاما كبيرا سواء بأشعارهن أو بما أثرن في شعراء عصرهن فكن مصدر إلهام الكثير من الشعراء.

Odalisques (chambermaids) in history and their role in literary and cultural life

Assistant professor: Jihad Kadhum Alogaily

Assistant lecturer: Afrah Thiab Salih

Center for woman studies - University of Baghdad

Abstract

The odalisque (chambermaid) is every owned woman (possessed). Her master has owned her either by buying her from the slavers who were travelling around in the lands to buy the odalisques and then selling them or they are captives of war .

Whenever odalisques are mentioned their ingenuity is mentioned with them in the arts of singing, literature and other arts like morphology and linguistic category

This duality of ingenuity and slavery was the feature that distinguished the odalisques, the ingenuity of the odalisque was the equivalent to the freedom that she missed .

The Abbasid era was more famous than all any other eras with the widespread of odalisques and singer odalisques in the palaces of the caliphs and in the houses of the slavers as a result of social factors of prosperity and luxury. Many types of odalisques emerged who contributed in transferring the cultures of their countries into the Islamic society, like the poet odalisque Oreib and odalisque Dananeer.

المقدمة

الجواري في التاريخ موضوع كثر عنه الحديث ،وتنوعت فيه الدراسات، منهم من تناول هذه الشريحة من النساء كظاهرة تاريخية درسها ضمن ظروفها ومعطيات عصرها، ومنهم من وقف عندها وقفة تشريعية حدد فيها موقف الإسلام منها محاولاً الدفاع عن وجود مثل هكذا طبقة اجتماعية في ظل المكانة التي منحها الإسلام للمرأة بعد أن خلصها من الكثير مما كان يلحق بها في الجاهلية من أشكال التهميش بدءاً بالوأد وانتهاء بالسبي والاسترقاق ، ومنهم من درس موضوع الجواري كظاهرة اجتماعية تفاعل معها المجتمع العربي الإسلامي فأثر فيها وأثرت فيه، وبوجود كل تلك الدراسات يجدر السؤال هنا ما الجديد الذي يمكن إضافته لتناول مثل هكذا دراسة؟،وهل هناك من نقاط ما زالت معتمة في قضية الجواري ممكن أن نسلط عليها الضوء ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول إن بحثنا هذا أعتمد في تناوله الموضوع على فرضيتين غفلتهما معظم الدراسات التي تناولت موضوع الجواري، الأولى أساسها جدلية الإبداع والعبودية ، إذ جمعت هذه الطبقة من الرقيق الضدين ، رق وإبداع ، فكيف تسنى لها أن تسفر عن وجه مشرق من الإبداع في فنون متعددة كالشعر والرواية والموسيقى والغناء وهي تحت مسمى العبودية، والحرية كما نعلم شرط الإبداع وجوهره؟ هل كان إبداع الجارية هو فعل تحرري تمارسه لتقهر عبوديتها المحتمة عليها؟ وهل يشمل هذا جميع الطبقات من الجواري أم اختصت به فئة دون أخرى؟ هذا ما تطرحه فرضيتنا الأولى للبحث.

وتأتي الفرضية الثانية لتقف عند ظاهرة الجواري في ضوء القراءات الحديثة للنص القرآني فيما يخص آيات (ملك اليمين)، إذ وجدنا عددا من المفكرين الإسلاميين ممن لهم قراءات جديدة تجعلنا نعيد النظر فيما وصل إلينا من مرويات تاريخية بشأن الجواري وحياتهن في قصور الخلفاء ، التي

صورت الإسلام دين عبودية وانتهاك لكرامة المرأة وكينونتها كإنسانة حرة وكأنثى تملك من المشاعر ما تملك المرأة الحرة ، فهل جاءت تلك الروايات باسم الإسلام بما ليس منه، أم أنها لم تكن روايات صحيحة من أساسها؟

ولم نغفل في بحثنا أن نعطي هذه الطبقة نصيباً لم تحظ به في مكتبتنا الأدبية وهو جانب الإبداع الشعري والأدبي ، إذ لم تلق العديد من الجواري الشواعر عنايةً الدارسين على الرغم مما يملكن من قريحة شعرية فاقت نظرائهن من شعراء عصرهن ولاسيما العصر العباسي الذي اقتصرت النماذج الأدبية التي تناولناه عليه كالشاعرة عريب والشاعرة دنانير.

على وفق هذا التناول جاءت خطة البحث في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجواري عبر الحضارات (البابلية والإغريقية والإسلامية)

المبحث الثاني: الجواري وجدلية الإبداع والعبودية

المبحث الثالث: دور الجواري في الحياة الأدبية والثقافية

المبحث الأول: الجواري عبر الحضارات (البابلية والإغريقية والإسلامية).

المطلب الأول : معنى الجارية

أولا: من هي الجارية والفرق بينها وبين الأمة :

إذا أردنا تتبع المعنى اللغوي للجارية فإننا لن نجد في أصل الكلمة أي إشارة لمعنى الرق أو العبودية كما هو شائع في تعريفها (الجارية هي الفتاة التي تباع وتشترى في سوق النخاسين)[1]، فهذا التعريف الذي تورده الكثير من المصادر اللغوية أو الفقهية ليس هو المعنى الذي وضعت له لفظة (جارية) في أصل اللغة ، بل الجارية كما جاء في معاجم اللغة لها معان عدة: فهي السفينة ، سميت بذلك لجريها في البحر ، قال تعالى :(وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام)، أراد بها السفن، والجارية :الكواكب والشمس سميت بذلك لجريها من القطر الى القطر[2].

فكما نلاحظ هذه المعاني أنها بعيدة جداً عن معناها الشائع ، ولعل أقرب المعاني اللغوية لمعنى الجارية بمعنى المملوكة ما جاء في لسان العرب أن الجارية هي الفتاة الصغيرة ،قال ابن منظور:"الجارية:الفتية من النساء بيّنة الجراية، "[3]، ومع أن ما أورده ابن منظور لا صلة لدلالته بالعبودية لأنها لفظة تطلق على الحرة والمملوكة " دلالة على التأنيث عند جهل اسم هذه الانثى ، فهي تطلق على الأنثى الشابة الناضجة " [4] ، إلا أنها صارت تطلق على الأمة كما ذكر الفيومي على التشبيه " لجريها مستسخرة في أشغال مواليها ،والأصل فيه الشابة لخفتها، ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية وإن كانت عجوزاً، لا تقدر على السعي تسمية بما كانت عليه، والجمع فيها جواري" [5] .

يتبين لنا أن من الأغلاط التي يقع فيها العوام أنهم يجعلون الجارية بمعنى الأَمة ، وليست هي كذلك ، لأن الأمة هي الخادمة ، كذلك تطلق على كل مملوكة ، قال القسطنطيني:" من أغلاطهم الغلام والجارية يذهبون إلى أنهما العبد والأمة، وليس كذلك، إنما الغلام والجارية الصغيران"[6] ، ومع ذلك نجد في بعض المصادر اللغوية ما يشير إلى أن العرب استعملوا لفظة الجارية بمعنى المملوكة ، فقد وردت كلمة جارية في شرح بعض الكلمات في سياق العبودية أو في التعريف ببعض الأعلام، فقيل في ابن عمرو بن الحارث بن ندبة ، " أمه جارية سوداء سباها الحارث ووهبها لابنه عمير" [7] ، ولعل ذلك راجع كما ترى وفاء الدريسي، " كون الجارية والغلام يشتريان ليجدد معهما المالك شبابه، ومن ثم صارت الكلمتان تطلقان على الخادم ذكراً أو أنثى"[8] .

ويبقى الفارق بين دلالتي الجارية والأمة قائماً عند العرب ، "فلفظة الجارية تدل على أن صاحبتها تقتنى لتكون أنموذجاً مصغراً للحور العين، أما كلمة الأمة فتعد أساساً على من جردت من سماتها الأنثوية لتخدم السيد دون أن تثير شهوته".[9]

ثانياً : مصادر الجواري؟

يذكر الفقهاء في تعريف الجارية "هي كل امرأة أخذت أسير في الحرب، على شريطة أن تكون غير مسلمة، لأنه لا يجوز لأي سبب من الأسباب أن تسبى المسلمة وتُسترق " [10]، وتذكر المصادر التاريخية أن حروب الفتوح كانت مصادر كبيرة ومتنوعة للرقيق، كتب ابن الأثير في تاريخه يقول:" بلغت غنائم موسى بن نصير فاتح المغرب سنة 91هـ ثلاثمائة ألف رأس سبي، بعث خمسها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، أي ستين ألفاً"[11] كما أن تلك الفتوحات "كانت بمثابة منابع من الذهب بالنسبة الى التجار من النخاسين الذين كانوا يسيرون وراء الجيوش وفي حوزتهم كل ما يحتاجون إليه من إمكانات السبي، فإذا ما أسفر القتال أقبلوا على المنتصر واشتروا منه الرجال والنساء والأولاد، ووضعوا القيود في الأرجل والأعناق وقادوهم الى أسواق الرقيق حتى يبيعونهم بأبهظ الأثمان ، ولكن بعد أن خفت حرب الفتوح وتوقفت المعارك وأصبحت الحاجة ملحة أكثر للحصول على الجواري والرقيق المتنوع الصفات والخصال عمد بعض النخاسين الجوابين في أطراف المعمورة الى التوغل في أوربا وبشكل خاص الشرقية منها وروسيا وبادية تركستان وآسيا التركية ذات السهول الواسعة وأفريقيا السوداء بهدف شراء الرقيق .. فكانوا يحملون من هناك الجواري السلافيات والجرمانيات اللواتي عرفن في بلاد العرب باسم الصقلبيات ،وقد صادف هذا النوع من الجواري سوقاً رائجة لبياض بشرتهن وطول أجسامهن، وكان من بين هذا الرقيق المتعدد الأجناس

الجواري والإماء الفارسيات والهنديات والسنديات وفيهن القندهاريات والتركيات الأرمنيات والروميات البربريات والزنجيات والحبشايات والبجاويات وغيرهن ، واشتهر بعض النخاسين بجلب الفتيات الصغيرات إلى ديار الإسلام بعد شرائهن من آبائهن لأنهن يكن قابلات للتعلم والحفظ، فكانوا ينقلونهن الى سمرقند، وكانت هذه المدينة في حينه تعد أهم مركز لتجارة الرقيق الأبيض "[12].

نقول بعد هذه المرويات التي أوردتها لنا كتب التاريخ ، أننا لو سلمنا بما قيل بشأن تجارة النخاسين للرقيق وهم يجوبون البلاد لشراء الجواري ومن ثم بيعهن في سوق الرقيق ، فكيف سيكون موقفنا حيال ما ورد عن الجواري اللاتي سُبين في الفتوحات الإسلامية أقتيدن كأسارى حرب؟ لعلنا نثير تساؤلا لابد منه هنا وهو إذا كان الإسلام قد أوصى بإكرام الأسير وحسن معاملته وهو من كان يرفع سيفه ضد الإسلام ويشهر حرباً عليه، فكيف بامرأة لا ذنب لها في قتال أن تسبى وتسترق وتمتهن كرامتها ببيعها وشرائها ومن ثم تصبح ملكاً لسيدها يتمتع بها دون عقد نكاح أو زواج؟ هذا ما سنفصل الحديث عنه في مطلبنا الثالث عن الجواري في الثقافة الإسلامية، لكننا سنتوقف قبل ذلك عند ظاهرة الرقيق قبل الإسلام ونعود بها إلى جذور تاريخية بعيدة في الحضارتين البابلية والإغريقية في وقفة موجزة وهو عنوان مطلبنا الثاني.

المطلب الثاني: ظاهرة الرق في الحضارتين البابلية والإغريقية .

يشير ما وصل إلينا من آثار بابلية وسومرية قديمة إلى وجود طبقة العبيد، إذ نصت العديد من المواد القانونية الواردة في قانون حمورابي إلى حقوق العبيد وإلى الكثير من القضايا المتعلقة بالتعامل معهم كطبقة اجتماعية لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما سنته الشريعة البابلية، يشكل الكثير من تلك القوانين نظرة إنسانية متقدمة قياساً بما تلاها من عصور امتهن فيها العبد وبيع كسلعة من السلع ، في حين نجد في شريعة حمورابي ما يحفظ للعبد حقوقه، فعلى سبيل المثال ما جاء في المادتين (170) و (171) من القانون ،ففي الأولى يمنح الرجل أولاده من أَمته الحقوق الشرعية والقانونية ويعدهم من أولاده من زوجته المختارة ، وتقرر المادة أنهم جميعا من أبناء الرجل ، متساوون بالحقوق ويتقاسمون تركة والدهم بالتساوي.[13]

ومع ذلك فإن معاملة الإماء عموماً متشابهة في كل المجتمعات القديمة فبعد أن يشتري الرجل أو المرأة العبد أو الأمة ويستلمون عقد البيع ، يصبح المشتري المالك الجديد وله الحرية بفعل ما يشاء بعبيده ، وكانت الإماء كما في أي عصر من العصور ليست سوى ملك صرف لسيدها (فمن حق الرجل صاحب الأمة التصرف بها كيفما يشاء، ومتى شاء، فإن رغب في مضاجعتها

أو بيعها أو منحها لأحد أولاده أو للمعبد فله الحق أن يفعل ذلك ، فليس هناك إذا عقد لزواج الإماء، كما ليست لهن أية حقوق مالية كالمهر والهدايا كما لبقية الزوجات)[14].

أما بخصوص الأمة صاحبة الأولاد فإنها تنال حريتها بعد وفاة مالكها تؤكد ذلك المادة (171) التي يرد فيها منح الأمة وأبنائها الحرية سواء اشترك أولادها أولاد الزوجة المختارة في الإرث أم لم يشتركوا ، ويعني ذلك تمتع الأمة وأولادها بالحرية سواء أقر لهم والدهم بالشرعية أم لم يفعل ذلك .[15]

وكان العبيد في الحضارة البابلية هم أسرى الحروب بالدرجة الأولى ، ومن المعلومات الموثقة بالاكتشافات الآثارية (الأركيولوجية) تبين أن جميع العبيد كانوا من أسرى الحروب . وأما البابليون الذين يستعبدون بسبب عجزهم عن إيفاء ما بذمتهم من ديون ، فإن عبودية هؤلاء لايجوز لها أن تستمر أكثر من ثلاث سنوات , مهما كان حجم الدين الذي كان بذمتهم .والدليل على أن العبيد هم أسرى حروب , هي العلامة المسمارية التي كتبت بواسطتها كلمة عبد، إذ إنها تتألف من علامتين ، الأولى تمثل الرجل إذا كان العبد رجلاً ، أو تمثل المرأة اذا كانت آمة . والعلامة الثانية تمثل البلاد الأجنبية .وبذلك يكون معنى العبد، رجل من البلاد الأجنبية، والأمة امرأة من البلاد الأجنبية [16].

فإذا ما جئنا للحضارة الإغريقية نجد العبيد فيها بمنزلة الحيوانات ، هكذا كان رأي فلاسفة الإغريق ، يقول أرسطو:" إن نفع الحيوانات الخاصة ونفع العبيد واحد تقريباً، هؤلاء وأولئك يساعدوننا بنجدة قوتهم الجسدية على تلبية حاجات الوجود .. هكذا فالحرب هي نوعا ما وسيلة طبيعية ما دامت تشمل هذا الصيد الذي تطارد به الحيوانات البرية والعبيد الذين ولدوا ليطيعوا"[17]

كذلك قدم أرسطو وكزينوفون ضمن بحوثهما في الاقتصاد كيفية ضبط فن اختيار العبيد وإن على هؤلاء انتظار ثلاثة أمور من أسيادهم : الشغل، الطعام ، التوبيخات.[18].

هكذا كانت آراء فلاسفة الإغريق بشأن العبيد ، (ففي قمة الفكر الذي ما يزال ينظر إليه كمنارة مميزة في التاريخ الإنساني ، ونعني بذلك المدرسة السقراطية وما تلاها، في هذه المرحلة بالذات كان فلاسفة المدرسة السقراطية هم المنظرون الحقيقيون "للإنسان الماشية، الإنسان المال أو الإنسان القطيع"، وإن نفعه هو عين نفع الحيوان وصيانته تتطلب العناية نفسها)[19] .

كان هذا حال العبيد في أقدم حضارتين وقبل أن يسجل تاريخنا العربي مروياته بشأن الجواري والإماء ، فلا نظن بعد هذا كما يقول الدكتور الحريتاني "أن من حق المحبطين والمتشائمين في مجتمعنا أن ينظروا إلى تاريخهم تلك النظرة البائسة التي تعكس عجزهم ، فتاريخنا ليست جوانب السوء فيه أفظع

منها عند الآخرين ولا جوانب الخير والجمال أقل منها عند أولئك ، بل في الكثير منها تسامت على غيرها ولا ضير أن نستشهد بما قالته الراهبة الإنكليزية في كتابها "محمد": (على النساء الغربيات اللواتي يهاجمن الإسلام بدعوى أنه ينتقص من مكانة المرأة إن يعلمن أن الإسلام أعطى المرأة حقوقا ظل الغرب يكافح حتى القرن التاسع عشر ليحصل على مثيل لها، وعليهن أن يعلمن أن علماء المسيحيين لاموا الإسلام على ما أعطاه للعبيد والنساء)"[20] .

المطلب الثالث: الجواري والإماء في الثقافة العربية الإسلامية.

لعل هنا لابد من وقفة تسلط الضوء على ظاهرة الجواري في الثقافة العربية الإسلامية إذ شاع انتشارها وذاعت أخبار الحسان من الجواري في قصور الخلفاء ولاسيما في العصر العباسي ، فما هو موقف الإسلام من هذا وهل عكست الظاهرة موقفاً شرعياً من الجواري والإماء أم أنها لم تكن سوى تمثيلا لروح عصرها بعيداً عن نهج الإسلام وشرعة الله التي شرعها في قرآنه الحكيم؟

بدءاً فقد مر بنا فيما سبق أن الرق ليس بدعة ابتدعها الإسلام وليس شرعة شرعها الله في كتابه ، بل هو قديم قدم الحضارات ، جاء الإسلام والمجتمع كان مبتلى بظاهرة الرق والاستعباد ،والقرآن الكريم أنزل أحكاماً بالرقيق وليس تشريعاً له ، فلا توجد آية واحدة في القرآن تشرع الرق أو تدعو له، بل عد الرق عارضاً ودعا للعتق وفك الرقاب ،يقول العقاد " شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، إذ كان الرق مشروعاً قبل الإسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعه، رقُّ الأسر في الحروب ، و رقُّ السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، و رقّ الاستدانة أو الوفاء بالدين"[21]

وقد كان للعرب قبل الإسلام طرائق مختلفة للأسر مثل الحروب والغارات وعقوبات الجرائم وبدلا للديون إذا عجز عن أدائها وغيرها من الأسباب، من ثم يباع الأسير رقيقاً والأسير جارية وتصبح سلعة تباع وتشترى ومتعة للاستغلال الجنسي بمجرد ملك اليمين ، وكانت هي السمة الأساسية في المجتمع الجاهلي ،فجاء الإسلام ولم يحرم العبودية بالمرة بل مهد الطريق التي تؤدي الى إنهاء العبودية بأكملها ،وكان موضوع الأسر في الإسلام نتيجة حروب مشروعة ولكنه حرم استرقاق الأسرى ،فأمر بإطلاق سراحهم بالمن أو مقابل فدية في قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا إذا رأيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منّاً بعدُ وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)[22]، ،وسيمر علينا تفسير هذه الآية ،ولم ترد لفظة الجواري في القرآن الكريم بمعنى الجارية أو الأمة فقد وردت بمعنى السفينة كما في قوله تعالى: (وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام)[23] ،ولكن ورد

مصطلح جديد لم تعرفه العرب قبل نزول القرآن وهو (ملك اليمين) ،فجاءت عبارة (ما ملكت إيمانكم) منسوبة الى الرجال ،وعبارة(ما ملكت أيمانهن) منسوبة الى النساء ،في خمسة عشر موضعاً من القرآن الكريم ،فمن هم ملك اليمين؟ وما الأحكام التي جاءت بحقهم ؟

تكاد تجمع معظم التفاسير على أن ملك اليمين هن الإماء وهن سبايا الحرب ، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك)[24] ،يقول وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن[25] ،وقد فسر القرطبي إسناد الملك الى اليمين كون اليد اليمنى (مخصوصة بالمحاسن لتمكنها ،ألا ترى أنها المنفقة ؟ كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهدة وهي المبايعة .. وهي المتلقية لرايات المجد)[26]

إن القول بأن الجواري هن أسارى حرب يجعلنا أمام تساؤلات لا بد منها ، أولها أن هذا العمل ينافي ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا رأيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منّاً بعدُ وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)

أي بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض أو أن تفادوهم فداء، خياران لا ثالث لهما ، يقول الطبري في تفسير هذه الآية : (فَإِذَا أَسَرْتُمُوهُمْ بَعْد الْإِثْخَان ، فَإِمَّا أَنْ تَمُنُّوا عَلَيْهِمْ بَعْد ذَلِكَ بِإِطْلَاقِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ الْأَسْر ، وَتُحَرِّرُوهُمْ بِغَيْرِ عِوَض وَلَا فِدْيَة ، وَإِمَّا أَنْ يُفَادُوكُمْ فِدَاء بِأَنْ يُعْطُوكُمْ مِنْ أَنْفُسهمْ عِوَضًا حَتَّى تُطْلِقُوهُمْ ، وَتُخَلُّوا لَهُمْ السَّبِيل)[27] والآية ليست منسوخة في رأي الطبري بل هي محكمة رداً على من قال إنها منسوخة بالآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهم)[28] و قَوْله تعالى (إِمَا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْب فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفهمْ)[29] ،يقول الطبري : (الْقَوْل عِنْدنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَة مُحْكَمَة غَيْر مَنْسُوخَة ، وَذَلِكَ أَنَّ صِفَة النَّاسِخ وَالْمَنْسُوخ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْر مَوْضِع فِي كِتَابنَا إِنَّهُ مَا لَمْ يَجُزْ اِجْتِمَاع حُكْمَيْهِمَا فِي حَال وَاحِدَة ، أَوْ مَا قَامَتْ الْحُجَّة بِأَنَّ أَحَدهمَا نَاسِخ الْآخَر , وَغَيْر مُسْتَنْكَر أَنْ يَكُون جُعِلَ الْخِيَار فِي الْمَنّ وَالْفِدَاء وَالْقَتْل إِلَى الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَإِلَى الْقَائِمِينَ بَعْده بِأَمْرِ الْأُمَّة ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْقَتْل مَذْكُورًا فِي هَذِهِ الْآيَة)[30]

يتبين لنا من رأي الطبري أن هناك ثلاثة خيارات في معاملة الأسرى هي أما المن وأما الفداء وأما القتل بإذن الرسول وأولي الأمر من بعده ،أي لا استرقاق للأسرى في القرآن الكريم .

وهذا ما جعل بعض الباحثين يدعون إلى قراءة جديدة لآيات ملك اليمين وإعادة النظر في قصرها على سبايا الحروب ، وقد رأيت السمرقندي

يورد رواية في تفسير ملك اليمين في أحد المواضع من القرآن الكريم بأنها الزوجات ، يقول في تفسير قوله تعالى (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)[31] قال (في رواية مقاتل والمحصنات من النساء يعني كل امرأة ليست تحتكم هي حرام عليكم ،ثم استثنى من المحصنات فقال إلا ما ملكت ايمانكم يعني إلا ما قد تزوجتم من النساء مثنى وثلاث ورباع)[32].

كذلك لم يرد في القرآن الكريم في المواضع الخمسة عشر أي إشارة إلى ما يصح امتلاكه من أعداد ملك اليمين مما جعل بعض المفسرين يحللون امتلاك الجواري بلا حصر ،يقول الرازي في تفسيره قوله تعالى :(فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) ،يقول :(فاكتفوا بزوجة واحدة أو بالمملوكة سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر)[33].

ولعل هذا ما سوغ المبالغة في امتلاك الجواري كما رأينا في العصر العباسي ، وهو ما انتبه إليه صاحب تفسير المنار فقال في تفسيره تعالى الآية السابقة (وهذا لا يفيد حل ما جرى عليه المسلمون منذ قرون كثيرة من الإسراف في التمتع بالجواري المملوكات بحق أو بغير حق مهما ترتب على ذلك من المفاسد كما شوهد ولا يزال يشاهد في بعض البلاد إلى الآن)[34]

إن مثل هذا الرأي يؤكد ضرورة الدعوة الى إعادة النظر في بعض التفاسير القديمة للقرآن الكريم في موضوع ملك اليمين ، وقد حاول سيد قطب أن يبرر موضوع الاستمتاع بسبايا الحروب بأن المعسكر الإسلامي لم يكن له بد من ذلك (حيث كان استرقاق الأسرى نظاماً عالمياً لا يملك الإسلام إبطاله من جانب واحد .... ومن ثم لم يكن له بد من أن تكون هناك سبايا كوافر في المجتمع المسلم فكيف يصنع بهن؟ إن الفطرة لا تكفي بأن يأكلن ويشربن فهناك حاجة فطرية أخرى لابد لهن من إشباعها وإلا التمسنها في الفاحشة التي تفسد المجتمع كله وتدنسه)؟[35]

قد يقنع هذا التبرير الكثيرين ،وقد يبقى بعضهم يرى في استرقاق الأسرى تناقضاً مع مبدأ الرحمة الذي جاء به الإسلام رحمة للعالمين ويرى أن الخلل ليس في التشريع الإسلامي بل في المفسرين الذين جانبوا الكثير من الصواب في تفسيراتهم لموضوع ملك اليمين ،تقول الباحثة مها تيناوي : ("ولو أدرك بعض المفسرين السلف هذه الحقيقة لأراحوا واستراحوا سامحهم الله ، وجنبوا الإسلام في تفسيراتهم الواهمة له مطاعن أساءت له حين قيدوا ملك اليمين وحصروه بالعبيد الرقيق أو السبايا، وأحلوا وطء المرأة من هاتين الفئتين دون عقدة نكاح ،وتجاهلوا أن الوطء الحلال لا يكون إلا بعقدة نكاح، فهو اتفاق بين طرفين قائم على العرض والقبول بين الطرفين وضمن شروط

متفق عليها مسبقاً، وما عدا ذلك فهو زنا واغتصاب وتنزّه الله عن أن يسمح بهما أو يجعلهما حلالاً وهو الذي شرع في كتابه لهذه العلاقة ومنع ما يترتب على أشكالها المحرمة من نتائج تنعكس أضرارها على الأفراد والمجتمعات"[36].

المبحث الثاني : الجواري وجدلية الإبداع والعبودية.

تذكر لنا المصادر التاريخية عن جوار أبدعن في مجالات شتى ليس الشعر والغناء فحسب ، بل منهن من أبدعت في الحساب وفي الخط والكتابة وفي علم النحو والصرف والحديث ، فما هي المؤهلات التي مكنت الجواري من الإبداع وهن تحت وطأة العبودية ؟، هل كن يعشن حياة من استعبد وهدرت حريته واستلبت إرادته أم أنهن عشن حياة الترف والدلال فلا ينطبق عليهن ما ينطبق على العبد ؟ لعلنا نجد الإجابة على هذه التساؤلات فيما ما يأتي:

المطلب الأول : عوامل الإبداع عند الجواري

لابد قبل التحدث عن عوامل الإبداع من ملاحظة مهمة وهي أن الجواري لم يكنّ على مستوى واحد في وضعهن الاجتماعي بل كانت الجواري على طبقات مختلفة وكانت أقلهن منزلة هي الجارية الخادمة ، والخدم : هم العبيد إن كانوا سوداً أو مماليك إن كانوا بيضاً [37] ، ولا فرق بين الخادم الأبيض والأسود ماداموا جميعا في حوزة شخص ما ، والخدم سواء أكانوا نساء أم رجالاً يعملون في خدمة الناس في بيوتهم أو في خدمة الخليفة وحاشيته في دور الخلافة وقد ارتقى قسم منهم إلى مناصب عالية من أمرة العسكر والحجابة [38] .

كان نصيب هذه الطبقة من الثقافة ضئيلاً أو يكاد يكون معدوماً فقد حكم المجتمع على الجارية الخادمة (الأمة) أن تكون جاهلة لا قدرة لها على التفكير، وعدت فصاحة هذا الصنف من الجواري وجهاً من وجوه العجب [39]، وبناء على ذلك، أعتق السادة بعض الفصيحات إكراماً لفصاحتهن، واشترى بعضهم الآخر من كانت تجمع الفصاحة مع الجمال[40] (فقد يشتري الرجل الأمة التي يرى أنها مختلفة ومتميزة عن غيرها .. ولعل هذا الذي دفع العديد من جواري العامة الى تعليم أنفسهن، أي أنهن تثقفن لجلب انتباه الرجل، ولإثبات ذواتهن أمام أنفسهن وأمام المجتمع أساساً)[41].

أما الطبقة الأعلى منزلة من الخدم فكانت من نصيب الجواري المثقفات ولاسيما الجواري في بيوت الأثرياء وقصور الخلفاء، فقد تصل الجارية حسبما تملكه من مؤهلات الإبداع من ثقافة وعلم وفصاحة وجمال إلى درجة (القهرمانة) أو (المحظية) .

والقهرمانة : هي لون من ألوان الجواري عرف في المجتمع العباسي ، وهي أرفع منزلة وشأناً في شريحة الجواري التي تنتمي اليها، لأن هذه التسمية كانت قد استعملت للإشارة إلى الوظيفة التي تخص الأمور المالية من الدخل والخرج في البلاط العباسي [42] ، مع أن النصوص المتوافرة تعود باستعمال هذا التعبير الى العصر الراشدي، وقد تأرجحت التسمية بين النساء والرجال، إلا أنها غلبت على النساء في العصر العباسي[43] ، ونجد تعدد وظيفة القهرمانة عند بعض الخلفاء ، فضلاً عن وظيفتها الأصلية ، مثل مبايعة الخليفة كما فعلت القهرمانة (علم) للخليفة المستكفي (333- 334هـ)[44] ، ومنهن من جلسن للمظالم مثل القهرمانة (ثمل) في خلافة المقتدر (295-320هـ) [45] وغيرهن.

وقد احتلت القهرمانات موقعاً مهما في حياة أسيادهم لأنهن من قمن بتربيتهم، هذا من ناحية، ولخبرتهن في تسيير الجواري الأصغر منهن سناً من ناحية أخرى ، وقد حفظ لنا التاريخ اسمي قهرمانتين من قهرمانات المماليك، وهما (حدق) و(مسكة)، جاريتا السلطان الملك الناصر بن قلاوون (698-741هـ) " نشأتا في داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدي برأيهما في عمل الأعراس السلطانية والمهمات الجليلة التي تعمل في الأعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطاني وتربية أولاد السلطان، وصار لهما من الأموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه ،وصنعتا براً ومعروفاً كبيرين واشتهرتا وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما" [46] .

وقد ترتفع منزلة الجارية لتكون (محظية) ،والمحظية أو الحظية : هي الجارية التي تبرز وتتميز عن بقية أقرانها من الجواري ، سواء لجمالها أم لصنعتها أو لصفة جميلة متميزة بها يربو لها شخص الخليفة ، فتأخذ شكل الحظية وفي مثل هذه المنزلة تكون قريبة منه ومحبة لديه.[47]

ويلاحظ أن الحظية في أكثر الأحيان تصبح زوجة الخليفة وأم أولاده مستقبلاً، ولهذا كانت أكثرية زوجات الخلفاء هن من الجواري المحظيات ، فقد اتخذ الخلفاء من الأثيرات منهن أمهات لأولادهم فرقين إلى أعلى درجات المجتمع، وكان لهن سلطان على الخلفاء أنفسهم ، يطعن في كل أمر ومن أولادهن انحدر خلفاء بني العباس ، ومن أشهرهن الخيزران جارية المهدي وأم ولديه الهادي والرشيد، ومراجل جارية الرشيد وأم ولده المأمون، وماردة أم ولده المعتصم، وقراطيس جارية المعتصم وأم ولده الواثق ، وشجاع أم ولده المتوكل، وقبيحة جارية المتوكل وأم ولده المعتز، وحبشية أم ولده المنتصر وشغب جارية المعتضد وأم ولده المقتدر وغيرهن من جواري من تبعهن من الخلفاء[48] ، وكان بعض الخلفاء يهدون محظياتهم هدايا كثيرة حتى وإن لم يتخذونهن زوجات ، مثل القهرمانة زيدان التي أهداها الخليفة المقتدر بالله سبحة

ثمينة مكونة من ست وثلاثين حبة لؤلؤ وتقدر في حينها بمئة الف دينار[49] ، وكان موت المحظية يوقع الحزن في الخليفة وقد يعهد الى رثائها بأبيات من الشعر ، أو يجلس للعزاء، على نحو ما ذكر بشأن الخليفة الرشيد عند موت جاريته هيلانة ،وكان لكل خليفة عباسي أكثر من محظية فقد مال الخلفاء إلى الإكثار من المحظيات فيزداد عددهن إذا كان محباً للهو والترف ، والعكس إذا كان سياسيا محنكا قوي الشخصية ، أو كان ذا توجهات دينية وأخلاقية صارمة.[50]

وقد تقتنى الجارية لحسن صوتها وإجادتها الغناء وعندها تسمى (قينة) تطرب بجمال صوتها وملاحة غنائها وطيب حضورها أسماع الحاضرين في مجالس اللهو أو قصور الخلفاء ،وأصل كلمة قينة في اللغة هو التزيّن ، والإصلاح ، فالقين يصلح الأشياء ويلمها ويجمعها ويقال للمرأة قينة وهي التي تتزين ،وسميت الجارية المغنية بالقينة لأنها تتزين وتعد نفسها للغناء [51] ،

وقد جنى المقينون (تجار الرقيق) أرباحا طائلة ،وعاشوا في نعيم وترف وكان الكبراء والأثرياء يطلبون ودهم ويلتمسون رضاهم، ويقصدون منازلهم لشراء القيان ، وقد وصف الجاحظ المقين ومكانته بين الناس وما تصل إليه القينة من الأثمان فقال : ومن فضائل مالك القيان أن الناس يقصدونه في رحله بالرغبة كما يقصد بها الخلفاء والعظماء ، فيزار ولا يكلف الزيارة ويوصل ولا يحمل على الصلة ويهدى له ولا تقتضي منه الهدية، وتبيت العيون ساهرة والعيون ساجمة والقلوب واجفة والأكباد متصدعة والأماني واقفة على ما يحويه ملكه وتضمه يده ، أليس في جميع ما يباع ويشترى ويستفاد ويقتنى بعد العقد النفيسة ، فمن يبلغ الثمن ما بلغته حبشية جارية عون مئة ألف دينار وعشرون ألف دينار ويرسلون الى بيت مالكها الهدايا من الأطعمة والأشربة"[52]

وعن عشقهن يقول" ومن الآفة عشق القيان على كثرة فضائلهن وسكون النفس إليهن وأنهن يجمعن للإنسان من اللذات ما لا يجتمع في شيء على وجه الأرض " ويعلل هذا العشق لأنه يشترك فيه " ثلاثة من الحواس وصار القلب بها رابعاً ،فللعين النظر الى القينة الحسناء والمشهية، إذ كان الحذق والجمال لا يكادان يجتمعان لمستمتع ومرتع، وللسمع منها حظ الذي لا مؤونة عليه، ولا تطرب آلته إلا إليه ، وللمس فيها الشهوة والحنين الى الباه ، والحواس كلها رواد للقلب وشهود عليه" أما لماذا جعل عشقها فتنة فيقول إن " مجالسة القينة أعظم فتنة لأنه روي في الأثر إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى لصاحبها فتنة فكيف بالنظر والشهوة إذا صاحبها السماع وتكانفتهما المغازلة" [53] .

يتبين لنا مما مر أن العامل الاجتماعي كان عاملاً مهماً في ذيوع ظاهرة الجواري بشكل عام والجواري المبدعات بشكل خاص ، فالعصر العباسي "عصر اتصف بانتشار الترف والبذخ، وكثرت وسائل الترويح عن النفس للمترفين .كسباق الخيل والحمام الزاجل، وصيد الطيور والغزلان، عصر عرف الترف بكل ما فيه من معنى، كذلك عصر نضج فيه التأليف والتدوين واتسع اتساعاً واسعاً، عصر اتصف بتمازج الحضارات، وازدادت حركة العمران فيه، وازدهر فن الغناء، ولا ننسى ازدياد وهج نيران الشعوبية، وانتشار المجون والزندقة . وانقسم المجتمع على طبقتين : عامة فقيرة ، وخاصة مترفة ، كل هذه العوامل، كانت كفيلة بانتشار ظاهرة الإماء على نحو واسع، وازدياد تأثيرها في الحياة العباسية" (54) .

أما العامل الأبرز والأهم في إبداع الجارية هو حرصها على الوصول إلى قلوب الرجال لتحظى بأعلى الطبقات في سلم الجواري قد تصل إلى أن تكون زوجة للخليفة أو أما لأولاده كما هو الحال مع الكثير من زوجات الخلفاء كما مر بنا أو في أقل تقدير أن تحضى بنوع من الدلال والترف الذي يغدق به مالكهن كلما رأى منهن إبداعا وسحراً.

وكان هذا الإبداع هو بمثابة المعادل للحرية التي افتقدتها " فكلما أبدعت الجارية قهرت عبوديتها أكثر فأكثر، فما إبداع الجارية إلا فعلاً تحررياً بذاته"(55) .

ويبقى سؤال نود طرحه هنا ، هل كان خروج الجارية من السلطة الذكورية سبباً لهذا الإبداع ؟ فقد أتيح لها ما لم يتح للحرة من تعلم فنون الأدب والغناء وأنواع الفنون في النحو والصرف ، ومجالسة الشعراء والأدباء والسلاطين.

المطلب الثاني : مصادر ثقافة الجارية

كانت الجواري حريصات على تثقيف أنفسهن بقدر حرص النخاس الذي يبيعهن، لعلم الجارية أنها كلما بلغت منزلاً رفيعاً من الثقافة كلما زاد سعرها ومن ثم زادت فرص شراء الأثرياء لها لتصبح من جواري الخاصة ، ولاسيما وإنها معرضة للاختبار والامتحان عند شرائها ، " والامتحان لم يكن بالشيء اليسير لأنه كان يتم على أيدي أساتذة عارفين محنكين، وعلماء خبراء أجلاء يعرفون ماذا يسألون وكيف يمتحنون ، وكان جعفر البرمكي يقوم بامتحان جواريه بنفسه (56).

ومن تلك الاختبارات ما رواه الأصمعي عن الرشيد إذ بعث يطلبه ليمتحن جاريتين أهديتا له فسأل الأولى : ما عندك من العلم ؟، قالت : ما أمر الله في كتابه، ثم ما ينظر الناس فيه من الأشعار والآداب والأخبار ، فسألها عن حروف القرآن فأجابته كأنها تقرأ الجواب في كتاب، وسألها عن النحو

والعروض والأخبار فما قصرت ، ثم سألها إن كانت تقرض الشعر فلتنشد شيئا منه فاندفعت تنشد :

يا غياث البلاد في كل محل ما يريد العباد إلا رضاك
لا ـ ومن شرف الإمام وأعلى ـ ما أطاع الإله عبد عصاك

ثم امتحن الأخرى فوجدها دون الأولى ، يقول فقلت " يا أمير المؤمنين ما تبلغ هذه منزلتها، إلا أنها إن وضبت عليها لحقت" [57].

وكتب السيوطي يقول [58]: " قال أبو الفرج الأصبهاني: كانت مغنية حسنة الغناء ، شاعرة سريعة الهاجس، عرضت على المعتمد فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي لما ظهر له من أمرها، ثم قال لابن حمدون قارضها، فقال:

وهبت نفسي للهوى
فقالت غير متوقفة: فجاز أن لما ملك
فقال : فصرت عبدا خاضعاً
فقالت: يسلك بي حيث سلك.
فأمر المعتمد بشرائها ، فاشتريت بثلاثين ألف درهم".

وقد اتخذ تثقيف جواري الخاصة بعداً مغايرا ومختلفاً عن أبعاد تثقيف جواري العامة تجاوز فيه بعضهم تعليمها فن الغناء الى فنون متنوعة أخرى ليجعل جاريته جامعة لعلوم الدنيا والدين "وجسدت الجارية (تودد) المثال المنشود للجواري العالمات، فقالت لهارون الرشيد معرفة بنفسها : أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة ، وأعرف فن الموسيقى ،وعلم الفرائض، والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين ، وأعرف القرآن العظيم ، وقرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة، وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه ، وأرباعه وأثمانه، وأعشاره وسجداته، وعدد أحرفه، وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية، وأسباب التنزيل، وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية، المسند منه والمرسل، ونظرت في علوم الرياضة، والهندسة، والفلسفة، وعلم الحكمة، والمنطق والمعاني والبيان، وحفظت كثيرا من العلم ، وتعلقت بالشعر ، وضربت العود، وعرفت مواطن النغم فيه، ومواقع حركات أوتاره وسكناتها ، فإن غنيت أرقصت وفتنت ، وإن تزينت وتطيبت فتنت "[59].

ويلاحظ أن الجارية قد فاقت الحرة في الثقافة لما حظيت به من فرص للتعلم لم تحض بها الحرة ، فقد "كان القوم يعلمون بناتهن القراءة والكتابة ويعلمونهن الأدب والشعر، ومن النادر أن تتعلم الحرة الغناء لكي يبقى تأديب

الحرة محافظاً على ما عهد فيها من أمانة وتدين وما أباح لها دينها أن تتعلمه وتفهمه ... أما الجارية فعليها أن تلم من كل أمر بطرف، وعليها أن تتعلم مجالسة الرجال من السادة وكبار الدولة وأهل العلم والأدب وأرباب الغناء والطرب، وأن تكون قادرة على مسايرة هؤلاء جميعاً لما يبدر منهم من حسن القول وسيئه"[60].

"وعاد هذا التثقيف في جل الأحيان بالفائدة على الثقافة العربية الإسلامية ،فقد أثر الجواري والغلمان في الحياة الثقافية بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة، أي أنهم قد أنتجوا أشعاراً ومصنفات وآثاراً متنوعة، لكنهم أيضا كانوا مواضيع لأشعار وكتب حفظ لنا التاريخ بعضها وذهب بأخرى أدراج الرياح "[61] ، وهكذا تبين بشكل واضح كم كانت تعاني الجارية حتى تتيسر لها سبل الفرج والفوز بالسلم الاجتماعي "وكم كان يعلق عليها صاحب القيان من آمال حتى يفوز بالثمن الذي يرتضيه ويتناسب مع بضاعته بعد أن علم وثقف وأعد وأمضى الأيام والليالي في التأديب والتأهيل"[62].

وسنتوقف في مبحثنا الثالث عند هذا الدور الذي أدته الجواري في الحياة الثقافية والأدبية ونعرض لنماذج من الجاريات ممن برزن من بين الجواري المثقفات المغنيات واتخذن نظم الشعر أداة لإستمالة القلوب إليهن "فأتين بشعر رقيق صافي الديباجة لطيف المعاني، يجمع طيب النكهة وحسن المفاكهة وبداهة المحاورة، ولطف الابتداء وطرافة المخرج" [63] ، على سبيل المثال لا الحصر الجارية عنان جارية النطاف، وعريب المأمونية، وفضل الشاعرة، ومحبوبة جارية المتوكل.

المبحث الثالث : دور الجواري في الحياة الأدبية والثقافية

لم تنصف الكثير من المرويات التي وصلت إلينا الجارية وتأثيرها في الحياة الأدبية والثقافية ، إذ اختصروا دورها على الغواية والإغراء لمالكها ولجلسائها ، لقد لاحظ بعض الباحثين تلك الصورة الذهنية للجواري والمتمثلة في دور وحيد يتصل بالجنس فحسب، ودعوا إلى أهمية النظر إلى الأدوار السياسية والاجتماعية والثقافية للجواري في قصور الخلفاء في الدولة الإسلامية، "وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة قد امتدت لتتجاوز المنظور العربي إلى مثيله الكوني؛ إذ شكّل السرد الحكائي عن الجواري جزءًا كبيرًا من النظرية المركزية للخطاب الغربي حول الإسلام منذ القرن الثامن عشر، وهي أن الإسلام ظالم للمرأة."[64] وكانت حكايات الجواري ربما أسبابًا مركزية لشيوع النظرة الغربية.

هذه الثقافة بشأن الجواري المتمثلة في تلك النصوص السردية الكلاسيكية التي نقلت إلينا صورة الجواري والمحظيات، يتبعها بعد آخر في شيوع هذه النظرة يتصل بالجواري أنفسهن إذ اقتضت الطبيعة النفسية الانتصار للذات مقابل الآخر المضطهِد كما رأينا في كلامنا عن عوامل إبداع الجارية، ومع كون وجود الجواري في حياة المسلمين أمرًا معتادًا وأسلوب ثقافة، لم يكن وجودهن في حياة الخلفاء على سبيل البحث عن الجسد فحسب، بل كان له دوره الكبير في إدخال أنماط ثقافية أسهمت في إشاعة التعدد والحوارية في حياة النخب السياسية، "يظل هذا الدور المجهول المبني على النظر إلى الجواري، بوصفهن سلعًا تُشترى، ويُرحب بتناقلها بين أيدي الملّاك، في ظل ظروف تتناولها الأدبيات التراثية، مواربًا بحجاب رؤية ترتهن إلى الجسد جمالًا، وترتكن إلى الصوت طربًا، هذا جانب كبير مما تورده السرديات الكلاسيكية، أما من جانب الجواري فإن الأمر لم يخلُ من دواخل نفسية، إذ إن الجارية نفسها لم ولن تكون راضية عن صورتها تلك التي تبقيها رقيقة، ولو أعتقت في مرحلة مبكرة من مراحل عمرها"[65].

وسنحاول في مبحثنا هذا الوقوف على أهم تلك الأدوار .

دور الجواري في الشعر والأدب

ازدهرت الحركة الأدبية في العصر العباسي، وكثر الشعراء في ذلك العصر ممن كان لهم الأثر الواضح في تسجيل أحداث تلك الحقبة، ولا نغفل في ذلك دور الإماء الشواعر اللواتي أسهمن بطبيعة حياتهن في إثراء الأدب العربي .والملاحظ أن هذا العصر قد شهد الكثير من التقلبات السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، و ازدادت فيه الفروق الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فكان كل ذلك كفيلًا أن يجعل هؤلاء الشاعرات يعبرن عن بوصلة الحياة ومؤشرات تقلبها. [66]

وانقسم أثر الجواري في الشعر على قسمين :

القسم الأول : ما نظمته الجواري الشاعرات من شعر ناظرن به الشعراء حتى غبطهن على ذلك شعراء عصرهن ، وجعل ذلك بعضهم يهاجمهن مثلما رأى أحدهم أن قصائد الشاعرة عريب متشابهة ،فرد عليه آخرون أن غناء الرجال بما فيهم إبراهيم الموصلي متفاوت الجودة وإفراد عريب وحدها بهذا الرأي حسد لها ، يقول الأصفهاني :"فلعريب صنعة فاضلة متقدمة ، وإنما قال هذا فيها ظلماً وحسداً ، وغمطها ما تستحقه من الفضل" [67] ، ورأت الكاتبة عزة شرارة أن هذه المهاجمة تعود الى أن "اقتحام النساء لهذه المجالات أحدث اضطرابا لا يمكن إغفاله في هوية الرجال وفي إحساسهم بذكورتهم"[68] .

وبعيداً عن هذا الموقف فقد أثبتت الجواري الشاعرات قدرة عالية وكفاية فنية في نظم الشعر شهد لهن بها نقاد عصرهن ، فقد تنوعت الخصائص الموضوعية في شعر الإماء كما هي عند فحول الشعراء بين الحب والغزل، والمديح ، والرثاء، والهجاء، والحكمة، والزهد والتصوف، والعتاب والاعتذار، والوفاء، والأمل واليأس ، أما الخصائص الفنية فلم تغادر قصائد الجواري نمط بناء القصيدة من مطلع وحسن تخلص وخاتمة، كما جاءت اللغة مفعمة بأنواع الصور البلاغية من تشبيه واستعارة ومن الجناس والطباق والمقابلة ، كما أن القصائد سارت في موسيقاها على ما سار عليه الشعراء من الالتزام بالوزن والقافية والروي[69] .

وعلاوة على الشعر فقد برعن أيضا بالخط والكتابة ، وقد تناول ابن الصولي ذكر ما استحسن من خط الجواري أسوة بمن ذكره من خط الكتاب ، وكانوا يعدون الخط مظهراً من المظاهر الثقافية التي يستحسن توافرها في الجارية، فقد قال المأمون حينما رأى جارية من جواريه تخط خطاً حسناً:

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف

وقال أحمد بن صالح يصف جارية كاتبة:

"كان خطها أشكال صورتها وكأن مدادها سواد شعرها، وكأن قرطاسها أديم وجهها، وكأن قلمها بعض أناملها، وكأن بنانها سحر مقلتها، وكأن سكينها سيف ألحاظها، وكأن قطعها قلب عاشقها"[70] .

وسنتوقف لاحقاً عند أشهر جاريتين وهما عريب جارية المأمون ودنانير.

القسم الثاني : ما أحدثته الجواري من تأثير في الشعر والشعراء إذ لم يعد الشعر في العصر العباسي، كما هو الشأن في شعر العصور السابقة، يقتصر على الغزل بالمرأة الحرة، بل تعدى ذلك إلى التغزل بالإماء والجواري، فكانت الجواري موضوعاً للشعر وملهمة للشعراء ، فقد كانت الجارية بفنها وجمالها وأدبها وحسن حديثها محور تفكير القوم ومصدراً من مصادر إلهامهم، وكان لهن بحكم مواقهن الاجتماعية أسهامتهن في مجالس الشراب والغناء دور واضح في صقل وتهذيب ما صدر عن الخلفاء وأبنائهم ، وما صدر عن بعض الأمراء والوزراء من إنتاج شعري بفضل ما أثرنه فيهم من كوامن العاطفة ومشاعر العشق وما كان منهن من جميل القول وطريف التصرفات مما أثار إعجاب هذا أو ذاك من أهل الحكم والرئاسة أو من الشعراء الأدباء فكان هؤلاء وأولئك من أشعار لطيفة وتفنن عذب تودداً للجواري ، ومجاراة لهن أو اشتراكاً معهن في الإجازة والمعارضة وما إليها[71] .

من ذلك قول الخليفة المهدي في جاريته جوهر[72] :

ألا يا جوهر القلب لقد زدت على الجوهرِ
وقد أكملك الله بحسن الدل والمنظرِ
إذا ما وصلت يا أحسن خلق الله في المزهرِ
وغنيت ففاح البيت من ريقك بالعنبرِ
فلا والله ما المهدي أولى منك بالمنبرِ

وقد يعجز الخليفة عن الإفصاح عما يختلج صدره من حب فيحتاج الى من يزيح عنه هذه الغمة ، وفي هذا أنشد التوزي على لسان المهدي في حسنة جاريته [73]:

أما يكفيك أنك تملكيني وأن الناس كلهم عبيدي
وأنك لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وتمكن العباس بن الأحنف من إعادة المياه الى مجاريها بين الرشيد وجاريته لما جرى بينهما من عتب، بقوله:

العاشقان كلاهما متغضب وكلاهما مستوحد متجنبُ
صدت مغاضبة وصد مغاضبا وكلاهما مما يعالج متعبُ
راجع أحبتك الذين هجرتهم إن المتيم قل ما يتجنبُ
إن التجنب إن تطاول منكما دب السلو له فعز المطلبُ [74]

"وارتبط اسم أكثر الشعراء بأسماء بعض الجواري المحددة ، فلم يخل شاعر من قصة حب مع جارية معينة أو اشتهر شعره وتغزله في قينة بعينها، فارتبط اسم بشار بعبدة، واسم أبي نؤاس بعنان ، وإبراهيم المدبر بعريب، ومطيه بن أياس بجوهر، والعباس بن الأحنف بفوز، ومحمود الوراق بسكن، وسعيد بن حميد بفضل، وغيرهم "[75]

و لم يتجاوز الشعر المنظوم في الجواري حد المقطوعات الشعرية "دارت هذه المقطوعات حول أربعة عناصر أساسية: تصوير الجمال المادي ، والتفاعل مع المواقف اليومية ، والرثاء والهجاء،واعتبر تصوير جمال القينة من أبرز المحاور التي تواترت في المقطوعات الشعرية، فقد ينبهر الشاعر بجمال جارية غيره فيعبر عن إعجابه بها بوصف جمالها ، وسحر عينيها ، ورشاقة قوامها ،قال الشاعر[76] :

شربت على ماء كأن خريره خرير دموعي عند رؤية أزهر
حلفت بعينيها لقد سفكت دمي بأطراف فتان وألحاظ جؤذر

" والدارس لهذه المقطوعات الشعرية يتبين أنها اعتنت بجانبين أساسيين من العلاقة بين الرجل والمرأة ، وهما البعد الجسدي والبعد الروحي، فقد حاول الشعراء تصوير مظاهر الإنوثة في الجارية ليقربوها من سيدها الذي

أبهر بها ، فكانت هؤلاء الجواري أقرب ما يكون لمثال الأنثى الفاتنة المخصصة للفراش والمتحلية بالدلال ... فكان الشعر واسطة تقرب بينهما "[77]

انموذجات للجواري الشاعرات :

عريب المأمونية :

"عريب بنت جعفر بن يحيى البرمكي المأمونية .شاعرة، مغنية،أديبة، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود .قيل :هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي .ولدت ببغداد ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس .وأعجب بها المأمون فقربها حتى نسبت إليه .قال ابن وكيع :ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة، ولا أحسن وجهاً ولا أخف روحاً ولا أحسن خطاباً ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة .يقال :إنها صنعت ألف صوت في الغناء .ماتت بسامراء .وأخبارها في الأغاني وغيره كثيرة [78].

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في أخبار عريب مبيناً منزلتها في الغناء والأدب ، قائلا:

"كانت عريب مغنّية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والظرف، وحسن الصورة وجودة الضرب، واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب " [79].

وعرف عن عريب أنها محدثة بارعة حسنة الخط لها إلمام نادر بالثقافات العربية كالأدب والشعر والتاريخ وعلوم اللسان والبلاغة والشريعة ، وقد نهلت من جميع هذه العلوم بفضل علماء البصرة الذين تعلمت عليهم وهي عند مولاها المراكبي ، لهج بمواهبها وإمكانياتها أحد أهم أساطين الغناء في عصره إسحاق الموصلي عندما قال عنها [80]: " ...ما رأيت امرأة أضرب من عريب، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً، ولا أخف روحًا، ولا أحسن خطابا، ولا أسرع جواباً، ولا ألعب بالشطرنج والنرد، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أرَ مثلها في امرأة غيرها"[81].

أحبت عريب محمد بن حامد القائد الخرساني المعروف بالخشن، حباً عميقاً وقالت فيه أشعاراً كثيرة وغنت بها ، وكان ابن حامد أشقر العينين وفيه تقول [82] :

بأبي كل أزرق أصهب اللون أشقر
جن قلبـي به ولـيس جنوني بمنكر

"ولما علم مولاها بغرامها منعها من الخروج ، وإذا خرجت تزور بعض أهله ومعارفه أرسل معها جارية تراقبها وتمنعها من لقاء الحبيب ، ويقال

أن هذه الجارية التي تدعى مظلومة كانت تفعل عكس رغبة مولاها فتهيء لعريب وابن حامد أسباب اللقاء، لكن عريب لم تطق العيش بجانب مولاها وهي مدلهة بابن حامد، ففرت إليه فحماها بالقوة العسكرية وحجبها في منزله، وحاول مولاها أن يسترجعها فلم يقبل ابن حامد، فشكاه الى المأمون الذي أخذها لنفسه من الاثنين معاً بعد أن دفع لمولاها خمسين ألف درهم، وقيل أكثر من ذلك، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها ومحبة لها" [83]

"هكذا خلصت عريب للمأمون فكانت بعض أمانيه، بل أحلى أمانيه ، وذهب بحبها كل مذهب ، بعد أن ملكت عليه أمره وتحكمت في أحاسيسه، فقدم إليها ما تريد وأطاعها فيما تشاء حتى سميت المأمونية"[84]

وهذه بعض من مقطوعاتها الشعرية:

كتب أبو الفرج يقول [85]:

"دخلت عريب إلى المتوكل وقد أفاق من علة أصابته، وعاد إلى عادته واصطبح فغنته وأنشأت تقول:

شكرا لأنعم من عافاك من سقم دمت المعافى من الآلام والسقم
عادت ببرديك للأيام بهجتها واهتز نبت رياض الجود والكرم
ما قام بالجود بعد المصطفى ملك أعف منك ولا أرعى على الذمم
فعمر الله فينا جعفرا ونفى بنـور سنـته عنـا دجـى الظلـم

فطرب وشرب عليه رطلاً، وأجلسها الى جانبه ، وما زالت تغنيه به ويشرب حتى سكر"

ومما قالته لما عوفي من علته [86]:

مرضت فأمرضت البرية كلها وأظلمت الأبصار من شدة الذعر
فلما استبان الناس منك إفاقة أقاموا وكانوا كالنيام على الجمر
سلامـة دنيانا سلامـة جعفر فدام معافـى سالمـا آخر الدهـر
أقام يعم الناس بالعدل والتقى قريبا من التقوى بعيدا عنه الوزر

ومن شعرها كما ذكر إسحاق الموصلي [87]:

لا غرني بعدك إنسان فقد بدت لي منك ألوان
وإن تغيرت فما حيلتي مالي على قلبك سلطان

دنانير جارية محمد بن كناسة

قال أبو الفرج": مولدة، من مولدات الكوفة، رباها محمد بن كناسة، وأدبها، وخرجت: شاعرة، أديبة، فصيحة، وقيل إنها كانت تغني، وذلك باطل؛ وعللوا ذلك أن محمد بن كناسة كان رجلًا زاهداً، نبيلًا، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم وليس مثله من يعلم جارية له :الغناء"[88]

فدنانير جارية ابن كناسة لها شعر بديع، في تخفيف أحزان مولاها، ومما يذكر في ذلك أنه عندما رجع من دفن أخ من قريش، قالت شعراً فيه مواساة لقلب حزين وجريح، ينبع من وجدان حزين واحساس مرهف، ولعل ما قالته هو من أقوى الأدلة على وفائها وصدق إخلاصها :

بكيت على أخ لك من قريش فأبكانا بكاؤك يا علي
وما كنا عرفناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلي(89)

ونقلًا عما قاله أبو الفرج في مجموعة من الجواري ونخص بالذكر الجارية دنانير " :وهؤلاء الجواري كن يختلفن ما بين عَوادة و زمارة وصناجة ورقاصة وطنبورية ودفاقة .وكانت كثيرات

منهن يحسن الشعر كما يحسن الغناء .يقول أبو الفرج في دنانير جارية البرامكة " :كانت من أحسن الناس وجها وأظرفهم وأكملهم وأحسنهم أدبا وأكثرهم رواية للغناء والشعر "(90)

وروى عنها الصفدي في (الوافي بالوفيات) أنها كانت تتمتع بمقدرة عالية في غناء الشعر القديم، فكانت أروى الناس في ذلك .وكانت ذات صفراء صادقة الملاحة، من أحسن الناس وجهاً وظرافة وأدباً"(91)

أما النوادر التي سيقت عن دنانير فهي كثيرة، فلقد أشبع المؤلفون كتبهم ومتونها بالحديث عنها .سائقون تلك الملح الطريفة، والنوادر الشيقة، والقصص الرائعة، التي تحمل في طياتها روائع حياة جارية ابن كناسة . ومن النوادر التي أعجبت بها إذ تلتزم بصورة الوفاء والصدق في طبعها هي يوم دعاها الرشيد بعد قتل البرامكة فأمرها أَن تغني" فَقَالَت :يَا أَمِير ا لمُؤمنِينَ إِنّي آلَيْت(امتنعت) أَن لَا أُغني بعد سَيِّدي أبدا، وما كان من الرشيد إلا أن غَضب عليها وَأمر بصفعها . فصُفِعَت، وأقيمت على رجلهَا، وَأعْطيت الْعود، فَأَخَذته وَهِي تبْكي أحر بكاء واندفعت فغنت:

يا دار سلمى بنازح السند بين الثنايا ومسقط البلد
لما رأيت الديار قد درست أيقنت ظان النعيم لم يعد

وبعد ما سمع الرشيد ما غنت رق قلبه لَهَا وَأمر بإطلاقها فَانْصَرَفت"(92)

إن هذه الأبيات التي غنتها الجارية دنانير مرتجلة وتحت مشاعر الحزن والأسى هي دليل براعة وموهبة شعرية فضلا عن صدق العاطفة ، مما يجعلنا ننكر ما قيل عن الجواري أنهن ما قلن الشعر إلا للتكسب وكسب ود مالكهن ، فكل ما نقل من أخبار دلالهن وأساليب التفنن في الإغراء والغواية " لا ينفي أبداً أن يكون لهؤلاء الجواري الشاعرات عواطف متأججة ومشاعر صادقة، فهن بشر وقد يعتلج جوارحهن ما يعتلج جوارح غيرهن من النساء من جامح الحب وصادق العاطفة ، وهذا ما يفسر لنا بعض المقطوعات الغزلية ذات المشاعر

العاطفية الحارة العميقة التي تزخر بالمعاني الروحية من وفاء وإخلاص وعذاب وشقاء وصدق معاناة تعبر عن حالات عشق صادق لهن مع عدد من الشعراء " [93] ، مثل قول الجارية الشاعرة فضل العبدية[94] :

لأكتمن الذي في القلب من غصص حتى أموت ولم يشعر بي الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن تهوى هو اليأس
ولا أبوح بشيء كنت أكتمه عند الجليس إذا ما دارت الكأس

أو قول صادق للجارية عنان جارية النطاف[95]:

يا لائمي جهلاً ألا تقصر من ذا على حر الهوى يصبر
لا تلمني إني شربت الهوى صرفاً فممزوج الهوى يسكر
أحاط بي الحب فخلفي له بحر وقدامي له أبحر
تخفق رايات الهوى بالردي فوقي وحولي للردى عسكر
سيان عندي في الهوى لائم أقل فيه ، والذي يكثر

الخاتمة

لم تكن ظاهرة الجواري جديدة العهد على الثقافة العربية الإسلامية ،ولم تكن بدعة ابتدعها الإسلام، بل هي قديمة قدم الحضارات البابلية والإغريقية، وبمقارنة حال الجواري والعبيد في الإسلام بحالهن في الحضارات القديمة سنجد أن الإسلام وإن لم يحرم الرق لكنه حث على عتق الرقاب وجعل أجر ذلك ثوابا عظيماً لصاحبه.

شاعت هذه الظاهرة وانتشرت في العصر العباسي أكثر من أي عصر آخر نتيجة العوامل الاجتماعية من ترف وبذخ، فامتلأت قصور خلفاء بني العباس بالجواري والقيان ،ولم يكن وجود الجارية في حياة الخلفاء على سبيل البحث عن الجسد فحسب، بل كان له دوره الكبير في إدخال أنماط ثقافية جديدة، إذ أن معظم هؤلاء الجواري قد جئن من بيئات ثقافية متعددة وقد نقلن ثقافة بلادهن للمجتمع الإسلامي فضلاً عما تعلمنه على يد النخاسين إذ بذل النخاسون جهوداً واضحة في تعليم الجارية وتأديبها بآداب تليق بقصور الخلفاء ، وكلما كانت نصيب الجارية من الشعر والموسيقى والغناء كبيراً كلما كانت محظية عند سيدها ،كان إبداع الجارية بمثابة المعادل للحرية التي افتقدتها وقد اتيح لها ما لم يتح للحرة من تعلم فنون الأدب والغناء وأنواع الفنون الأخرى كالنحو والصرف ومجالسة الشعراء والأدباء والسلاطين، وقد رأينا من اللأنموذجات على إبداع الجواري الجارية الشاعرة عريب المأمونية التي ملكت قلب المأمون حتى نسبت إليه ودنانير جارية محمد بن كناسة التي برعت في ارتجال الشعر ،كما ورد ذكر الشاعرة فضل العبدية والشاعرة عنان جارية النطاف ،كل هذه

النماذج وغيرها كانت خير مثال للحركة الأدبية في العصر العباسي التي أسهمت فيها الجواري إسهاما كبيراً سواًء بأشعارهن أم بما أثرن في شعراء عصرهن فكن مصدر إلهام للكثير من الشعراء.

هوامش البحث:

[1] لويس المعلوف، المنجد ، ص 359، أحمد عطية، القاموس الإسلامي ، ط1 القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية، ص555.
[2] ابن منظور، لسان العرب ، المطبعة الأميرية، مصر ، بولاق، 1300هـ، مادة (جري).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] مها محمد علي التيناوي، ما ملكت أيمانكم ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م، ص25.
[5] أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت، 2010م.
[6] القسطنطيني، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، تحقيق حاتم الضامن، عالم الكتاب، بيروت، 1987م، ص41.
[7] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، القاهرة، 1969م،مادة (ندب).
[8] وفاء الدريسي، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية مقاربة جندرية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، لبنان، بيروت، ط1 ،2016م،ص26.
[9] المصدر السابق نفسه ، ص 27.
[10] سعيد أبو العينين، حكايات الجواري في قصور الخلافة،دار أخبار اليوم، 1998م.ص 10
[11] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، المجلد الرابع ، ص 259.دار صادر بيروت، 1965م.
[12] سليمان حريتاني، الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية ومنازل المقينين في المجتمع العربي الإسلامي، ط1 ،1997، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية ، دمشق ، ص 33.
[13] سهيل قاشا،المرأة في شريعة حمورابي،منشورات مكتبة بسام،موصل، 1985م، ص 69.
[14] المصدر السابق نفسه ، ص70.
[15] وقد حددت المواد :(15-20-170-171-176أ-176ب-199-213-217-219-223-226-231-252-278-282)حقوق العبيد وواجباتهم في المجتمع البابلي ، المصدر السابق، ص 70.
[16] ينظر :.فوزي رشيد ،حمورابي ، مجدد وحدة البلاد د - ط1- 1991– – وزارة الثقافة والأعلام –دار ثقافة الأطفال – العراق – بغداد ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ،جورج كونتينو – ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي – ط 2 – 1986م – وزارة الثقافة والأعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ،ص 45

[17] موريس أنجليه، العبودية ، ترجمة إلياس مرقص، إصدار دار الحصاد، د.ت، ص66.
[18] المصدر السابق نفسه.

[19] الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية ومنازل المقينين في المجتمع العربي الاسلامي ، مصدر سبق ذكره، ص 7.
[20] الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية ومنازل المقينين ، مصدر سبق ذكره ، ص12، والنص منقول من كتاب النبي محمد (وجهة نظر غربية جديدة في فهم الإسلام) كارين آرمسترونغ، دار الحصاد، دمشق، 1997.
[21] موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1، تشرين الثاني 1970، المجلد الأول ، ص 209.
[22] سورة محمد الآية 4
[23] سورة الرحمن الآية 25
[24] سورة الاحزاب الآية 50
[25] الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير،ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت ،لبنان، 1408هـ 1988م.14\60
[26] القرطبي(ابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي) ت 671هـ ،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدري،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،المجلد 3 ص 15.
[27] جامع البيان ،مصدر سبق ذكره.30\213
[28] سورة التوبة الآية 5
[29] سورة الأنفال الآية 57
[30] جامع البيان مصدر سبق ذكره، 30\213
[31] سورة النساء الآية 24
[32] السمرقندي ،أبي الليث بن حامد بن ابراهيم ت 375هـ ، تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) ،مطبعة الإرشاد ،بغداد ،1985م ، ج2، ص 292
[33] الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن حسين ت 606هـ)، التفسير الكبير ،المطبعة البهية المصرية مصر ،1357هـ - 1938م.،ج9 ،ص182
[34] محمد رشيد رضا ،ت 1925م ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،ط1، 1999م ،ج4 ،ص 286
[35] سيد قطب ،في ظلال القرآن ،دار الشروق ،ط11، 1985م، ج15، ص25
[36] ما ملكت أيمانكم ، مصدر سبق ذكره، ص 12
[37] القلقشندي،صبحي الأعشى في صناعة الأنشا،مطبعة بولاق القاهرة،1921،ج4، ص 126.
[38] الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة المعارف ، القاهرة، 1962، ج4، ص25، وينظر : التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت، ج2، ص 195.
[39] " قال عمر بن العاص : أعجبتني كلمة من أمة ، قلت لها، ومعها طبق، ما عليه يا جارية؟ ، قالت : ولم غطيناه إذن ؟!" ، الإمتاع والمؤانسة ، مصدر سبق ذكره، ص 55 ، وينظر : الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص 211.
[40] ابو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار الفكر ، بيروت، د.ت، ج6، ص 302.

[41] الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية ، مصدر سبق ذكره، ص 212.
[42] الأغاني ، مصدر سبق ذكره، ج12، ص79
[43] تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ج4، ص68.
[44] المصدر السابق نفسه، ج4، ص69.
[45] سولاف فيض الله حسن، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة بغداد ، آب 2004م .
[46] تقي الدين المقريزي، الخطط ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1997، ج2، ص 634، وينظر: الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص 338.
[47] تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سبق ذكره، ج4، ص 71.
[48] السيوطي ، المستظرف من أخبار الجواري ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ط2، 1976، وينظر: ، عبد السلام الترمانيني ،الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد 23، 1979، ص 105.
[49] الإمتاع والمؤانسة ، مصدر سبق ذكره ، ج1، ص89، ورسائل الجاحظ ، الجاحظ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا، دار الحاثة ، بيروت، ط1، 1988، باب رسائل القيان ، ص 62.
[50] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مطبعة السعادة، مصر ، 1931م، ج6، ص91.مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ج2، ص180.
[51] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان، ط2، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953م، ج9، ص94.
[52] رسائل الجاحظ مصدر سبق ذكره، باب مفاخرة الجواري والغلمان، ج2، ص 177.

[53] المصدر السابق ، ج2، ص 112.
[54] عبد الله بن محمد بن حمود التوبي ، شعر الإماء في العصر العباسي ، خصائصه الموضوعية والفنية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة نزوى ، سلطنة عمان ، وينظر : البخلاء ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(المتوفى 522 :هـ)، تحقيق : عبدالسلام هارون، ط: 5، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1419 هـ ، ص 2.
[55] فريال العلي ، الجواري في الأندلس وجدل العبودية والإبداع ، مقال منشور على الموقع الالكتروني: *https://majalatalandalus.wordpress.com*
[56] الشريف المرتضي ، أمالي المرتضى ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، 1954، ج1، ص101.
[57] تاريخ بغداد ، مصدر سبق ذكره، ج10، ص 411.
[58] المستظرف من أخبار الجواري، مصدر سبق ذكره، ص 69.
[59] الف ليلة وليلة، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة، 1999م، ج2، ص8 ، وينظر الجواري والغلمان في الثقافة الاسلامية ، مصدر سبق ذكره، ص 223.

[60] علي محمد هاشم، الأندية الأدبية في العصر العباسي،دار الآفاق الجديدة، بيروت ، 1982، ص 220.
[61] الجواري والغلمان في الثقافة الاسلامية، مصدر سبق ذكره، ص 245.
[62] الجواري والقيان وظاهرة انتشار اندية ومنازل المقينين، مصدر سبق ذكره ، ص 132
[63] المصدر السابق نفسه، ص 132.
[64] تمثيلات الجواري في العصر الوسيط ، مقال منشور على الموقع الالكتروني: *www.alriyadh.com/788245*
[65] المصدر السابق نفسه.
[66] شعر الإماء في العصر العباسي ، مصدر سبق ذكره، ص ي
[67] الأغاني ، مصدر سبق ذكره، ج12، ص 42.
[68] عزة شرارة بيضون ، الرجولة وتغير أحوال النساء ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007 ، ص 29.
[69] ينظر في ذلك : شعر الإماء ، مصدر سبق ذكره.
[70] حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، ج5، المرأة ،واجدة مجيد الاطرقجي، ص 137.
[71] الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية المقينين في المجتمع العربي الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص 181.
[72] الجاحظ، البيان والتبيين،طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، ج3، ص184
[73] الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سبق ذكره، ج8، ص 185.
السيوطي، [74] المستظرف ، مصدر سبق ذكره، ص60
[75] الجواري والقيان ، مصدر سبق ذكره، ص 183.
[76] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، 1979، ص 78.
[77] الجواري والغلمان في الثقافة الاسلامية ،مصدر سبق ذكره، ص 285.
[78] شعر الإماء مصدر سبق ذكره ، ص 67.
[79] الأغاني ، مصدر سبق ذكره، ج 51 :، ص21
[80] الجواري والقيان ، مصدر سبق ذكره، ص 149.
[81] الأغاني ، مصدر سبق ذكره
[82] المصدر السابق ص 64.
[83] الجواري والقيان ، مصدر سبق ذكره ، ص 152، نقلا عن الأغاني ، المصدر السابق ج 21، ص 67.
[84] الجواري والقيان ، المصدر السابق ص 152.
[85] أبو الفرج الأصفهاني، الإماء الشواعر، تحقيق جليل العطية، دار النضال، بيروت، ط1، 1984م، ص139.
[86] المصدر السابق ، ص 140.
[87] السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري مصدر سبق ذكره، ص37.
[88] الاصفهاني، الإماء الشواعر ، مصدر سبق ذكره،ص 46.

[89] المصدر السابق ، ص 46.
[90] الأغاني ،ج 16، ص 130
[91] شعر الإماء ، مصدر سبق ذكره، ص 69، نقلا عن الوافي بالوفيات، الصفدي، ج14، ص41.
[92] المصدر السابق ، ص70
[93] الجواري والقيان ، مصدر سبق ذكره، ص 180.
[94] المستظرف في أخبار الجواري ، مصدر سبق ذكره، ص45.
[95] الإماء الشواعر ، الاصفهاني، مصدر سبق ذكره، ص49.

قائمة المصادر والمراجع :

1- الأغاني ، ابو الفرج الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت، د.ت.
2- الف ليلة وليلة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة، 1999م.
3- الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق جليل العطية، دار النضال، بيروت، ط1، 1984م
4- أمالي المرتضى ، الشريف المرتضي ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، م.1954
5- الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي ،تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.
6- الأندية الأدبية في العصر العباسي، علي محمد هاشم، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، 1982 م.
7- البخلاء ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(المتوفى 522 :هـ)، تحقيق :عبدالسلام هارون، ط: 5، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1419 هـ
8- البيان والتبيين، الجاحظ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت
9- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي، دار الهداية ، القاهرة، 1969.
10- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، مصر ، 1931م.
11- تاريخ الرسل والملوك ، الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) ، مطبعة المعارف ، القاهرة، 1962
12- تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) ، السمرقندي ،أبي الليث بن حامد بن ابراهيم ت 375هـ ، مطبعة الإرشاد ،بغداد ،1985م.
13- التفسير الكبير ، الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن حسين ت 606هـ)،المطبعة البهية المصرية مصر ،1357هـ - 1938م.
14- تفسير المنار، محمد رشيد رضا ،ت 1925م ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،ط1، 1999م
15- تمثيلات الجواري في العصر الوسيط ، مقال منشور على الموقع الالكتروني: www.alriyadh.com/788245
16- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير،ت310هـ)، دار الفكر بيروت ،لبنان، 1408هـ- 1988م.
17- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي) ت 671هـ ،تحقيق سالم مصطفى البدري ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان
18- الجواري في الاندلس الجواري في الأندلس وجدل العبودية والإبداع ، فريال العلي ، مقال منشور على الموقع الالكتروني: https://majalatalandalus.wordpress.com
19- الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية مقاربة جندرية، وفاء الدريسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، لبنان، بيروت، ط1 ،2016م.

20- الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية ومنازل المقينين في المجتمع العربي الإسلامي، سليمان حريتاني، ط1 ،1997، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية ، دمشق .
21- حضارة العراق ، نخبة من الباحثين العراقيين، ج5، المرأة ،واجدة مجيد الاطرقجي، د.ت.
22- حكايات الجواري في قصور الخلافة ، سعيد أبو العينين، دار أخبار اليوم، 1998م.
23- حمورابي مجدد وحدة البلاد ، .فوزي رشيد– وزارة الثقافة والاعلام –دار ثقافة الاطفال – العراق – بغداد. ط1- 1991م.
24- الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ،جورج كونتينو – ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي – وزارة الثقافة والاعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد. ط 2 – 1986م.
25- الخطط ، تقي الدين المقريزي، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1997
26- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، القسطنطيني، تحقيق حاتم الضامن، عالم الكتاب، بيروت، 1987م.
27- دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، سولاف فيض الله حسن،رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة بغداد ، آب 2004م .
28- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، دار الثقافة، بيروت، 1979م.
29- الرجولة وتغير أحوال النساء ، عزة شرارة بيضون ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007م.
30- رسائل الجاحظ ، الجاحظ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا، دار الحاثة ، بيروت، ط1، 1988،
31- الرق ماضيه وحاضره، عبد السلام الترمانيني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، عدد 23، 1979م.
32- شعر الإماء في العصر العباسي ، خصائصه الموضوعية والفنية، عبد الله بن محمد بن حمود التوبي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة نزوى ، سلطنة عمان
33- صبحي الأعشى في صناعة الأنشا ، القلقشندي، مطبعة بولاق القاهرة، 1921م.
34- العبودية ، موريس أنجليه، ترجمة إلياس مرقص، إصدار دار الحصاد.د.ت
35- العقد الفريد ، ابن عبد ربه، تحقيق محمد سعيد العريان، ط2، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953م.
36- في ظلال القرآن ، سيد قطب ،دار الشروق ،ط11، 1985م
37- القاموس الإسلامي ، أحمد عطية، ط1 القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية.
38- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير،.دار صادر بيروت، 1965م.
39- لسان العرب ، ابن منظور، المطبعة الأميرية، مصر ، بولاق، 1300هـ.
40- ما ملكت أيمانكم ، مها محمد علي التيناوي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2011م.
41- المرأة في شريعة حمورابي ، سهيل قاشا، منشورات مكتبة بسام ، موصل، 1985م.
42- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، د.ت.
43- المستظرف من أخبار الجواري ، السيوطي ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ط2، 1976م.
44- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت، 2010م.
45- المنجد ، لويس المعلوف، دار المشرق ، بيروت ، ط5، 1986م.
46- موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1، تشرين الثاني 1970م.
47- النبي محمد (وجهة نظر غربية جديدة في فهم الإسلام) كارين آرمسترو، دار الحصاد، دمشق، 1997.